و أصبح أقل حادث - كحادث السوق مع المرأة - كفيل بالغليان الشعبي. لهذا قام الرسول صلى الله عليه وسلم بطردهم من المدينة.

٢ - المستشرقون ومصير بني قينقاع:

أما المستشرقون فلهم نظرتهم الخاصة بالنسبة إلى العلاقة بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبني قينقاع، فإدوارد جيبون (ت: ١٧٩٤) Edward Gibbon مثلاً يرى أن النبي صلى الله عليه وسلم استغل بعض الاضطراب العارض في المدينة ليحتمع ببني قينقاع، ويخيرهم بين اعتناق دينه (الإسلام) أو الحرب. وأن موقف بني قينقاع كان ضعيفاً جداً وذلك أنهم أجابوا محمداً بملء وهم يرتجفون قائلين: نحن لا نحسن استخدام السلاح، ولكننا نتمسك بدين آبائنا، وهكذا حُسم الصراع غير المتكافئ بعد خمسة عشر يوماً لمصلحة محمد، الذي أبقى بعد إلحاح شديد على حياة الأسرى[1].

فالمسألة في نظر جيبون هي خيار صعب بين تغيير المعتقد أو الحرب، وأما ما عدا ذلك من الأسباب فلا قيمة له. وينسى جيبون أنه" لا إكراه في الدين" وأن الإسلام يعترف بحرية العقيدة، ويحترم عقائد أهل الكتاب، بل إن ما عرف بصحيفة المدينة كفلت لليهود حريتهم الدينية، ويظهر جلياً أن جيبون لم يحاول التعرف إلى الأسباب التي دفعت بالأمور إلى تلك النهاية المرة بين الطرفين. وكذلك فإن ميور يقول إن مقاصد محمد أصبحت بالنسبة إلى يهود بني قينقاع واضحة، إن المسألة ليست مجرد حادثة تافهة كإهانة المرأة؛ لأن الدم قد أهريق بين الطرفين، ولو لم

---

(١) Edward Gibbon and Simon Ockley . **The Saracens : Their history and the Rise and fall of their Empir.** (London: 1984) P. 35.